الأسلوب في الإعجاز القرآني ...
نحو رؤية موضوعية لسورة الحجرات

د٠ إبراهيم عمر علي المحائلي (*)

المقدمة :

يبدو أن علوم العربية في نشأتها الأولى و تأثرها بمباحث القرآن الكريم في آفاقها المختلفة من حيث المضمون و الشكل و التقسيمات العلمية قد فاتها شيء كبير من استكشاف طابع النص القرآني و خصائه الأسلوبية، و رغم عنايتها بوضع الأطر العامة للقواعد الممثلة لتلك العلوم المنظرة للنصوص العربية بعامة، إلا أنها اختلفت في درجة الفصاحة و البيان بحسب التأثر أو التماس مع لغة قريش، وهذا ما فتح باب البحث و التنقيب أمام الباحثين للكشف عن قوة العربية، لا سيما إذا ما كان كتاب العربية الأول – النص القرآني المبارك – مناطا للبحث والتأمل؛ بغية الكشف عن وجوه الإعجاز فيه الذي لا ينضب عطاؤه إلى أن يرث الله – سبحانه و تعالى – الأرض ومن عليها.

وتعد الدراسة – التي بين أيدينا – لونا من ألوان البحث السائر على نهج سالف العلماء الذين حاولوا طرق أبواب العربية وأسرارها كمحاولة لإبراز مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، وفق قراءة موضوعات البلاغة العربية بفهم أسلوبي معاصر، وهذا لا يعني إسقاط مفاهيم حديثة على وقائع التأصيل القديم، بقدر ما تعني إعادة درس القديم وتنمية جوانبه الملائمة للدراسة المعاصرة؛ وفي هذا استثمار و تطوير وتقدم على طريق البحث الذي يأخذ من القديم كما يأخذ من

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية العلوم والآداب بظهران الجنوب – جامعة الملك خالد– المملكة العربية السعودية.

الحديث، وبهذا يتجدد البحث ويتناسب مع ميدان التجديد أصلا، ونعني بهذا مرونة الإعجاز البلاغي و احتماله للأفكار الأصلية[١] .

ولم يكن التطرق إلى الأسلوب القرآني من الروافد البحثية حديثة المولد بل نقب فيها الكثير من العلماء السالفين، فمنهم من نظر إلى الأسلوب باعتباره لونا من ألوان الفنون، حيث خطا الباقلاني ببحثه إلى الإفادة ممن سبقوه من العلماء، وله زيادة الشرح والتفصيل والتنظيم والتنسيق، فقد قسم وجه الإعجاز البلاغي القرآني على عشرة معان، منها خروج أسلوبه عن الأساليب المعتادة[٢].

وذهب عبد القاهر الجرجاني أيضا إلى أن الإعجاز ليس في التلاؤم والسجع والتجنيس والترصيع وغير ذلك مما يعود إلى اللفظ؛ لأن صعوبة السجع – مثلا – هي صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ، وذاك أنه صعب التوفيق بين معاني تلك الألفاظ المسجوعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافا لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت من أسلوب إلى أسلوب، وليس لمن حام في حديث المزية والإعجاز حول اللفظ، وقصد أن يجعله السبب في هذه الفضيلة إلا التسكع في الحيرة [٣] .

وجاءت هذه النتيجة معتمدة على النظر إلى لفظة الأسلوب؛ موصوفة بالفصاحة لتكون تحديا لفصحاء العرب عند ابن سنان الخفاجي؛ حيث قال: "ونعلم أن مسيلمة وغيره لم يأت بمعارضة على الحقيقة؛ لأن الكلام الذي أورده خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص "[٤] .

---

(١) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم- د.محمد كريم الكواز – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – الطبعة الأولى – ١٤٢٦- ص١٣.

(٢) إعجاز القرآن محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني - المحقق: السيد أحمد صقر- دار المعارف – مصر- ص٣٥.

(٣) دلائل الإعجاز- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد – تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر- مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة: ص٦٠ ، ٦٢.

(٤) سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي – تحقيق : عبد المتعال الصعيدي – طبعة مكتبة محمد علي صبيح – ١٩٥٢م – ص٣٧.

و تطرق ابن الأثير مفرقا بين النحو و البلاغة، ولا شك أنه كان يعني "علم المعاني" على وجه الخصوص: "ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة "[١] .

والحقيقة أن "الأسلوب" من الروافد البحثية التي شغلت أفكار النخب الثقافية عبر العصور لا في العربية، ولكن اللغات الأجنبية كذلك، فقد تطرق عالم اللغة دي سوسير إلى دراسة "الأسلوب" وفق البيئة النصية والموقف الذي قيل فيه "الأسلوب" وفق رؤية أصلت لهذه الدراسة و كانت فتحا في علم اللغة الحديث في أوروبا ؛ لافتا إلى أن دراسة اللغة لا بد أن ينظر إليها على أنها بناء متكامل وفق دراسة بعض جزئياتها التي قد تؤدي إلى تغير في دلالة وحداتها.

يتضح من هذا أننا لا نطلب اللفظ بحال، وإنما نطلب المعنى، وطالما وقعنا على المعنى فاللفظ بإزائه؛ ف "الأسلوب" يعد أحد المداخل التي يلج منها الباحث لبيان مقاصد القرآن الذي لا ينضب عطاؤه، ولأن في العربية وتقسيماتها التراثية لعلوم البلاغة الممثلة في البيان والبديع والمعاني لخير دليل على قوة العربية؛ إذ إن البيان الذي آثره العربي قد يقصر عن البيان كما في قوله تعالى : (أشد قسوة)[٢] ليحل علم المعاني في القرآن أتم وأعم وأوفى بسبب السياق الذي جاء عليه في الآية السالفة المعتمدة على صيغة أفعل التفضيل، ومن ثم فإن التطرق إلى "علم المعاني" في معرفة الإعجاز القرآني من الأبواب الجمالية التي توفي بالغرض والمقصد.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – ضياء الدين بن الأثير – تحقيق : أحمد الحوفي وزميله – الرياض : دار الرفاعي – ص:١/٣٩-٤٠.

(٢) البقرة :٧٤.

مضمون الدراسة:

وقد انحاز الباحث إلى التنقيب في سورة الحجرات من خلال طرق أبواب "علم المعاني" باعتباره الظاهرة "الأسلوبية" التي أسهمت في تماسك نص السورة وخروجها على أساس من الوحدة المتكاملة، ولهذا سعت الدراسة إلى تناول سورة الحجرات بالدراسة والتحليل معتمدة على رصد الظواهر "الأسلوبية" وبخاصة الإنشائية منها سعيا لإبراز عنصر من عناصر الإعجاز القرآني وفق مقتضى علوم البلاغة القديمة و التماس مع الحديث منها؛ لتؤكد الدراسة على أن النص القرآني كتاب العربية الأول والنص الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه مع تتابع الأزمان والعصور.

سورة الحجرات:

ليس لها اسم غيره، وهي سورة مدنية باتفاق المفسرين نزلت في العام التاسع للهجرة، وحكى السيوطي في الإتقان قولاً شاذاً أنها مكية ولا يعرف قائل هذا القول، وعدد آياتها ثماني عشرة آية، وهي من المثاني، ترتيبها في المصحف التاسعة والأربعون، نزلت بعد سورة المجادلة، وبدأت بأسلوب النداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وسميت السورة بالحجرات نسبةً إلى حجرات زوجات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان لكل واحدة منهن حجرة في مؤخرة المسجد النبوي.

أسباب النزول:

وهناك عدة روايات لأسباب نزول هذه السورة، حيث إن بعض الآيات ورد فيها أكثر من سبب من أسباب النزول بعضها صحيح والآخر ضعيف، وأصح الروايات في نزول قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) ، أنها نزلت في أبي بكر وعمر في قصة بني تميم كما في رواية البخاري عن ابن أبي مليكة؛ قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر، رفعا

أصواتهما عند النبي حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه الآية[١] .

وجاءت هذه السورة المباركة مؤكدة على حتمية الانصياع لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد الحديبية ، حيث كان لرسول الله رأي وللصحابة رأي آخر، ولأن الرسول الكريم ينال وحيه من الله – سبحانه و تعالى – فكان لزاما على الصحابة الانصياع إلى أوامره لأنه لا ينطق عن الهوى؛ وذلك لأن الله – سبحانه وتعالى – كان يعلم أن توقيت الصلح في ذلك الوقت لم يكن مناسبا للمسلمين؛ لأن الإمازة بين المسلم الحق والمسلم رياء لم تكن بائنة للعامة وبخاصة وقت الحرب و التداخل بين الجنود، الأمر الذي قد يتسبب في إصابة المسلم الحق بمعرة قتله للمسلم ظاهرا.

أغراض هذه السورة:

يقول عنها ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير": تتعلق أغراضها بحوادث جدت متقاربة كانت سببا لنزول ما فيها من أحكام وآداب، وأولها تعليم المسلمين بعض ما يجب عليهم من الأدب مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في معاملته وخطابه وندائه، دعا إلى تعليمهم إياها ما ارتكبه وفد بني تميم من جفاء الأعراب لما نادوا الرسول من بيوته، ووجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به والتثبت في نقل الخبر مطلقا وأن ذلك خلق المؤمنين ومجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين"[٢] .

---

(١) البخاري– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري– طبعة دار القلم– كتاب التفسير، باب: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٤٥٦٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، ج٢٦ ص٢١٣.

أسباب اختيار الدراسة:

هناك حزمة من الأسباب التي دفعت الباحث إلى إعادة النظر في سورة الحجرات من الناحية الإنشائية ودلالتها المرتبطة مع مقاصد السورة ككل، والتي يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

أولا: النص القرآني اعتمد على الوصل بين سوره لا الفصل:

وتأتي أهمية موضوع الفصل والوصل بوصفه واحداً من الموضوعات التي جعلها بعض البلاغيين حداً للبلاغة، إذ قيل لأبي علي الفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل والوصل.

فالقدرة على التمييز بين مواضع الجمل التي يناسبها الوصل أو الفصل هو المدار الذي يدور عليه هذا الفن، قال القزويني: وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة، فنٌّ عظيم.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة التطرق إلى مواطن الوصل في القرآن الكريم والأدلة على ذلك كثيرة نكتفي بالإشارة إلى أن خواتم السور القرآنية التي لم تنتهي بالوقف، بل المدقق في خواتم سور القرآن الكريم يجدها منتهية بحرف متحرك وغير ساكن؛ تأكيدا على أن النص المبارك اعتمد على الوصل لا الفصل.

ويمكن التدليل على ذلك من خلال تعقب سور النص المبارك، فسورة الفتح ختمت بقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [1] بالتنوين دلالة على أن النص القرآني الشفهي يعتمد على الوصل مع السورة المباركة التالية لها، وهذا الأمر يؤكد على أن النص المبارك جاء على أساس الوصل؛ أي أنه نص متماسك المضمون و مكمل لبعضه بعض، وهذه تعد أحد الركائز الرئيسة التي اعتمد عليها الباحث في دراسته؛ سعيا لبيان وجه من وجوه الإعجاز القرآني.

---

(١) سورة الفتح : الآية ٢٩.

ثانيا: ترابط السور في ترتيبها المصحفي بعضها ببعض:

وهذا محور تفسيري يكثر الكلام فيه ويطول، لا سيما وأن عدد سور القرآن الكريم (١١٤) سورة، الأمر الذي يلزم على المبرهن والمدلل بيان الرابط بين السور القرآنية بعضها ببعض، ولكن ما يمكن التدليل عليه علاقة سورة (الحجرات) بما قبلها من سورة (الفتح)، الأمر الذي يمكن من خلاله تلمس العلاقة بين السورتين المباركتين.

والمتأمل يجد تناسب خواتيم سورة الفتح مع فواتح سورة الحجرات؛ فالكلام في خاتمة "الفتح" عن الذين آمنوا و الممثل في قوله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)، ليثني استهلال سورة الحجرات بخطاب للمؤمنين والممثل في قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)).

والمدقق يجد أن خاتمة سورة الفتح عنيت بذكر حالة المسلمين والمؤمنين في الحرب، لتثني سورة الحجرات واضعة لمنهج المعاملات في حالة السلم مستهلة بقوله تعالى :(لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١))، كيف تكونون معه؟ لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله. وعد الله في خاتمة الفتح: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩))، وفي بداية الحجرات: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)).

والمدقق في خواتيم الآيات في قوله تعالى: (مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) ، (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) يجد ترابطا منهجيا يرشد المسلمين إلى كيفية التعامل مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقت السلم ووقت الحرب ، فسورة الحجرات

التي تتحدث عن أدب العلاقات والتعامل مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومع المسلمين والناس عامة، وكأن الهدف من هذه الآداب والتوجيهات أنكم يا من سينزّل عليكم الفتح (فتح مكة) يجب عليكم أن تتأدبوا بالعلاقات مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا بالإضافة إلى الصفات التي أوردها الله تعالى في سورة الفتح (آية ٢٩). فكأنما أراد الله تعالى أن يجمع لهم صفات العبادة والعمل مع الصفات الخلقية والذوقية حتى يكونوا أهلاً للفتح من عند الله تعالى؛ لتكون السورتان المباركتان منهاجا إسلاميا متكاملا يرسم للمسلمين طريقا مستقيما في التعامل مع الرسول الكريم، وتضع منهجا تربويا يضمن للرسالة السماوية النجاح وفق مقتضى المفاهيم والمضامين الإنسانية التي تتوافق مع المنهج العقلي.

ثالثا: قامت السورة المباركة في مجملها النصي على الأسلوب الإنشائي:

والمدقق في سورة الحجرات من الناحية الأسلوبية يجد بروز الأسلوب الإنشائي بشكل واضح، والذي يتوافق مع المقاصد التربوية الإلهية المتضمنة في السورة المباركة؛ الأمر الذي لفت ذهن الباحث إلى تعقب الأسلوب الإنشائي بخاصة في سورة الحجرات وبيان أثره على مقاصد السورة بعامة.

عدد الآيات القرآنية المتضمنة للأسلوب الإنشائي والخبري في السورة المباركة

م	الأسلوب	نوعه	العدد
١	إنشائي	نداء	٦
٢	إنشائي	نهي	٨
٣	إنشائي	أمر	١٢
٤	إنشائي	استفهام	١
٥	الخبري	التقرير والتأكيد والتخصيص	١٠
٦	عدد آيات السورة المباركة ١٨ آية		

وبالتأمل في التحليل الإحصائي لسورة الحجرات يجد المدقق اعتماد نصها المبارك على الأساليب الإنشائية المتنوعة ما بين (النداء، والأمر، والنهي ثم الاستفهام)، وقل البيان في السورة القرآنية المعني بإعلاء الصورة في ذهن المتلقي وهو الجانب الجمالي المؤثر عند العربي القديم ، الأمر الذي ينم عن أن المقاصد القرآنية الكائنة في السورة المباركة اعتمدت على إثارة ذهن المتلقي بعامة والمؤمن بخاصة لتنفيذ المقتضى التشريعي الممثل في (افعل ولا تفعل)، وهذا ما يمكن الإشارة إليه تفصيلا في معرض بيان مراد الآيات المباركة بحسب تفصيل العربية لجمالياتها وفق مقتضى موضوعي للسورة القرآنية، وهذا التصنيف ما سيحاول الباحث تفصيله على النحو التالي:

الدراسة ..

إن النظرة غير المتأنية في سورة الحجرات، قد توحي لصاحبها أن هذه السورة قد اشتملت على عدة موضوعات متفرقة، ولكن النظرة المتأنية المتأملة تصل بصاحبها إلى أن السورة تتناول موضوعا واحدا، تتفرع عنه عدة موضوعات مترابطة، يجمعها التجانس والتلاحم بين أولها وآخرها مرورا بالتناسق اللفظي لآياتها المباركة؛ الأمر الذي يبرهن على تلمس الوحدة الموضوعية للسورة من خلال معالجتها لقضايا أساسية في حياة المسلم، بدأت موضوعها بقضية الإيمان وآداب المعاملة عبر ترابط مضمون آياتها الذي يؤدي إلى المضمون الآخر دون تعارض أو تنافر، و يمكن بيان ذلك كما يلي:

فمن اللمسات الجمالية فى سورة الحجرات استهلالها بنداء الحق – سبحانه وتعالى – للمؤمنين و الممثل في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).

التي تكررت في السورة المباركة (٥) مرات في مقابل نداء الناس جميعا بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فما دلالة تغير الخطاب؟

جاء قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) على خصوص خطاب المؤمنين خاصة، بينما قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (١٣)) فجاء على عموم الخطاب للناس (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) هذه ليست للذين آمنوا وإنما لكل الناس، هذا ليس خاصاً بالمؤمنين ، ليؤكد النسق الأسلوبي في السورة المباركة على عنايتها بسرد أحكام للمؤمنين، لا شك و أن المراد القرآني عني بتوجيه المؤمنين إلى أمر جلل وفق إطار تعليمي و تربوي إلهي يمكن الإشارة إليه كما هو تالٍ :

١-أدب الشرع

ويمكن تلمس ذلك في معرض قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)).

والمعنى: لا تقطعوا أمراً إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه، فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل، وإما مقتدين برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنه.[١]

وقد رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

والغرض من الشاهد أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.

وقال العوفي: نهى أن يتكلموا بين يدي كلامه [٢] .

وقبل ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والمقصود هنا أن الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبر معناه ويعقل، ويعرف برهانه ودليله إما العقلي، وإما الخبري السمعي، ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا، وتجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال لأصحاب هذه الألفاظ:

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ج ٢٦، ١٨٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير – دار ابن حزم – ص٥١٥.

يحتمل كذا وكذا، ويحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – قبل، وإن أرادوا بها ما يخالفه رد[١] .

هذه الآية افتتحت بنداء المؤمنين للتنبيه على أهمية ما يرد بعد ذلك النداء لتترقبه أسماعهم بشوق، ورد في الأثر: إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا، فارعها سمعك، فإنما هو أمر تؤمر به أو نهي تنهى عنه. ووصفهم بالذين آمنوا جاء مجرى اللقب لهم مع ما يؤذن به أصله من أهليتهم لتلقي هذا النهي بالامتثال ولهذا جاء بصيغة الفعل الماضي الدال على تأصل الفعل في النفس وتمكنه منها، مع التأكيد على أن النفس مجبولة على سماع من يمدحها بما فيها.[٢]

وهذا يلفتنا إلى أن النداء الموجه للذين آمنوا فيه إخضاع لهم لتقبل ما يوجه إليهم من نهي اعتمادا على وصفهم بالمؤمنين؛ الأمر الذي يدفع المدقق إلى النظر إلى البنية النصية للسورة المباركة على اعتبار قوامه التوجيه والإرشاد للمؤمن لما انمازوا به من اختصاص بالإيمان، وهي منزلة لم ينلها إلى من كانت لهم المراتب العليا، وفي الآية تشريف للرسول – صلى الله عليه وسلم –بالانصياع التام لأوامره، وجاء التناسق اللفظي في الآية المباركة دليلا يمكن تلمسه في معرض قوله تعالى: (بَيْنَ يَدَيِ)، وقوله تعالى :(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، فيشير البناء النظمي للآية المباركة إلى أن وصف التقوى مرتهن بطاعة المؤمنين للرسول – صلى الله عليه وسلم – والانصياع التام لأوامره.

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية؛ وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية – ٢٠٠٤– ج١٣، ص١٤٥.

(٢) مقال دروس منتقاة من سورة الحجرات – د. فارس العزاوي– تاريخ الإضافة ١٧/٩/٢٠٠٩ : ميلادي – ١٤٣٠/٩/٢٧ هجري

https://www.alukah.net/sharia/٠/٧٥٢٩/#_ftnref٤

٢- آدب التعامل مع النبي

و إن إعادة النداء عليهم فيه استدعاء لهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وقد أسهم التناسق اللفظي الممثل في اختصاص النداء للذين آمنوا في لفت المتأمل إلى أن هناك آدابًا يريد الله – سبحانه و تعالى – أن يربي عباده الصالحين عليها بدليل وصفهم باختصاص لفظ الإيمان، وقد تجلى ذلك في معرض قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)).

وبتكرار النداء يرسخ في ضمير المتلقي حتمية الانصياع إلى أوامر ونواهي الحق – سبحانه و تعالى – تأكيدا على اختصاصهم بهذه المنزلة التي تشرفوا بها، وعلى الرغم من أن مناسبة نزول الآية المباركة تختلف عن سالفتها في السورة المباركة إلا أنها تعضد المراد الكائن في الآية السالفة ؛ حيث نزلت هذه الآية المباركة في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت، فكان إذا تكلم رفع صوته، وربما كان يكلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيتأذى بصوته.

وقد تضمنت الآية المباركة مقصدا تربويا في تعامل المؤمنين مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتحريك هممهم لئلا يفترقوا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الأدب ، وذلك لأنّ في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، والمراد بقوله: (لاَ تَرْفَعُواْ أصواتكم فَوْقَ صَوْتِ النبى) أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدّ الذي يبلغه بصوت، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عالياً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم؛ حتى تكون مزيته عليكم لائحة، وسابقته واضحة.[١]

(١) الزمخشري – ج ٢٦.

وفي الأوّل يقدر النهي موجهاً على الفعل على حياله، ثم يأتي النهي معللا لتصرف المؤمن الذي يقع فيه دون قصد تعظيما من شأن المؤمنين الذين يقرون بعظمة ومكانة رسولهم – صلى الله عليه وسلم–.

والمراد في هذا النهي يكمن في نداء الرسول الكريم باسمه، وقد دلل على ذلك التناسق اللفظي في الآية المباركة الواردة في قوله تعالى : (النَّبِيِّ) والمدقق يجد آيات النص المبارك لم تعن بنداء الرسول – صلى الله عليه وسلم – تعظيما من الحق – سبحانه و تعالى – له؛ فكيف لبشر أن يناديه باسمه ، والدليل قوله تعالى: (أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ)؛ فالبناء و التناسق اللفظي في الآية المباركة توافق مع الإنشاء الممثل في النهي الوارد في الآية المباركة ، وهذا ما يتوافق مع المراد العام للآية المباركة الناهية لأي عمل يحول دون مهابة رسول الله ، وقد دلل على ذلك التناسق اللفظي الممثل في قوله تعالى: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) وهكذا امتحن الله – سبحانه وتعالى – المؤمنين، واختصاص القلب بالاختيار لأن الإيمان محله القلب، وهذا ما تناسب مع النهي والتربية العامة التي توافقت مع مقتضى المراد العام للآية على وجه الاختصاص، والسورة على وجه العموم.

٣-أدب التعامل مع الأخبار وكيفية تلقيها

تتوالي التربية الإلهية للمؤمنين عبر التطرق إلى جانب من جوانب تضامن وتآلف المؤمنين فيما بينهم، وتكون مرجعا شرعيا يحفظ للمؤمنين بخاصة والمسلمين بعامة منهاجا قويما لبناء الأمة الإسلامية بعامة، ويأتي على رأس مقومات التمسك الإيماني فيما بينهم ضرورة التثبت من الأخبار التي قد تكون مناط التناحر بين الأقوام، وقد بدا ذلك في معرض قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦))

فالآية الكريمة تدعو إلى ضرورة التثبت من خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر – كاذبا أو مخطئا ، فيكون الحاكم بقوله تابعًا له، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق ، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق ، وهو الحارث بن ضرار ، والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ، رضي الله عنها [1].

ويروى أن سبب نزول الآية المباركة جاءت على أعقاب بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمّه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً، ثم قال: هل أزيدكم، فعزله عثمان عنهم مصدّقاً إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة، فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له، فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– : قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فغضب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهمّ أن يغزوهم؛ فبلغ القوم فوردوا وقالوا: نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم فقال: "لتنتهنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلاً هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم"، ثم ضرب بيده على كتف علي – رضي الله عنه – وقيل: ابعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين، فسلموا إليه الصدقات، فرجع.

---

(١) ابن كثير – ص٥١٦.

وهذه الرواية قد أقرها أكثر المفسرين والعلماء، وأخذوا بمضمونها في تفسير هذه الآية، ولقد وقف الباحث على كثير من كتب التفسير التي اعتبرت هذه الرواية، وصدقتها، وجعلتها سبباً للآية، ومنها تفسير الطبري [١]، و تفسير ابن أبي حاتم [٢]، وتفسير عبد الرزاق[٣]، وتفسير ابن أبي زمنين[٤]، وتفسيرالألوسي[٥].

وربما يتبادر إلى ذهن المدقق علة استعمال (إذا) و(إن) في القرآن الكريم؟

(إذا) في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله كما في الآية: (إذا حضر أحدكم الموت) باعتبارها ظرفية تعبر عن زمن الماضي وفق مضامين التقرير والتحقيق، أي: لا بد أن يحضر الموت، (فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ) [٦] ولا بد للأشهر الحرم من أن تنسلخ، وقوله تعالى: (وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت) [٧] ولا بد للشمس من أن تطلع وكقوله: (فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ)[٨] ولا بد للصلاة أن تنقضي.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر، ج٢٦، ص١٢٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٦، ص١٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير ابن أبي حاتم الرازي، الرازي ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض – ص٣٣٠٣.

(٤) تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، تحقيق : عبد الله بن حسين عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، طبعة الفاروق الحديثة للطباعة و النشر ، ج٤، ص٢٦١.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الألوسي البغدادي، دار الطباعة المنيرية، تصوير دار إحيار التراث العربي، ج٢٦، ص١٤٤ .

(٦) التوبة : الآية ٥.

(٧) الكهف : الآية ١٧.

(٨) الجمعة : الآية ١٠.

أما (إن) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حدوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل كما في قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) [١] هنا احتمال وافتراض، و (وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ) [٢] لم يقع ولكنه احتمال، و(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)[٣] الأصل أن لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في (انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه) افتراض واحتمال وقوعه.

ولو جاءت (إذا) و(إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و(إن) للأقلّ كما في آية الوضوء في معرض قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦))[٤]، القيام إلى الصلاة كثير الحصول فجاء بـ (إذا)، أما كون الإنسان مريضاً أو مسافراً أو جنباً فهو أقلّ لذا جاء بـ (إن).

ويكمن في الآية المباركة ملمح بلاغي وثيق الصلة بمرادها و التمثل في تنكير لفظة "الفاسق" ولفظة "النبأ": كأنه قال: أيّ فاسق جاءكم بأيّ نبأ؛ فتوقفوا فيه وتطلبوا الأمر وانكشاف الحقيقة [٥]، أي إنها تفيد العموم ، لأن النكرة إذا وقعت في سياق الشرط عمّت كما تعمّ إذا وقعت في سياق النفي، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه القاعدة في غير مكان من هذا الكتاب، وفي هذا التنكير ردّ على

(١) القصص : الآية ٢٨.
(٢) الطور : الآية ٧١.
(٣) الحجرات : الآية ٩.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦.
(٥) الزمخشري – ج ٢٦.

من زعم أنها نزلت في الوليد بن عقبة وهو من كبار الصحابة لأن إطلاق الفسوق عليه، ليكون التناسق اللفظي في الآية المباركة خير مبرئ للصحابي الجليل.

الفسوق هو الخروج من الشيء والانسلاخ منه، والمراد إذا جاءكم فاسق بأيّ نبأ فمحّصوه وأعرضوه على محك التصويب والتخطئة قبل البتّ في الحكم ولا تستعجلوا الأمور(١).

والمدقق في الآية المباركة يجد مظهرا آخر من مظاهر التناسق اللفظي في الآية المباركة والملازمة لدلالة (فاسق) والتي تدل على الخروج من الإيمان، إذ إن التمثيل في اللفظ السالفة يدل على أن المؤمن أحاطه الله – سبحانه وتعالى – بغلاف الإيمان الذي يحول بينه و بين الخروج عن طاعة الله ، بينما الفاسق فقد خرج عن هذا الغلاف الإيماني الذي يوقع به في الإثم والفسوق على الإيمان.

والمدقق في الآية المباركة يجد أن التناسق اللفظي في الآية المباركة مؤكد على عظمة العربية التي أسهمت في تعضيد مراد الآية المباركة، وقد دلل على ذلك مجيء الآية المباركة بلفظة (نبأ) دون لفظة (خبر)؛ وذلك لأن النبأ يعني بالخبر الهام ، لأنه قد يتسبب في الإيقاع والوقيعة بين المؤمنين، أو لإيهام المتلقي بأنه أمر هام في ظاهره وخبيث في باطنه، وهذا ما يعلي من الأخذ بالحيطة والحذر من التعامل مع الرسول والرسالة؛ حفظا على الكيان الإسلامي القائم بين المسلمين.

ولهذا فإن التناسق اللفظي في الآية المباركة – كما سلفت الإشارة – يكشف للمدقق علة الإنشاء (الأمر) في قوله تعالى: (فَتَبَيَّنُوا) الداعية إلى ضرورة التثبت من الخبر والتي تتوافق مع المراد العام في الآية المباركة والمتضمن للجانب التربوي الإلهي المعني بآداب تلقي الأخبار لما لها من آثار ربما تضر بتماسك المجتمع الإسلامي.

---

(١) كتاب الحاوي في تفسير القرآن –عبد الرحمن القماش – ٢٠٧٤٢.

٤-فضائل السنة المطهرة

ولأن الآيات المباركة جاءت معظمة لمكانة الرسول – صلى الله عليه وسلم– في حياته و إعطاءه المهابة التي تليق بمهام العمل المنوط به ، و لأن النص القرآني المبارك جاء هاديا في كل زمان ومكان فإن الآية المباركة جاءت على عموم اللفظ لتتجاوز الظرفية الممثلة لحياة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى كل ظرفية معاشة للمسلم دون حياة النبي، وهذا ما يمكن الإشارة إليه في معرض قوله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ (٧)).

وقوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) أي: اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه، وتأدبوا معه، وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم ، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، وقد أكد النص القرآني ذلك في أكثر من موضع كما قال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ)[١][٢].

(وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فقد قدّم خبر إن على اسمها والقصد من ذلك التشدّد على بعض المؤمنين لتحاشي ما استهجنه اللّه من محاولتهم اتباع رأي رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – لآرائهم.

وتكمن بلاغة القرآن في دقة التعبير بالمضارع دون الماضي في قوله :(لَوْ يُطِيعُكُمْ) ولم يقل: أطاعكم؛ وذلك لإفادة الديمومة والاستمرار.[٣]

وهذا الآية المباركة تلفت المدقق إلى أن النص القرآني في السورة المباركة جاء على أساس من الترابط والتماسك بين آياته، إذ إن في حياة الرسول ما يضمن للمؤمن السير على الطريق القويم، وفي مماته ما يضمن للمؤمن النجاة

(١) الأحزاب : الآية ٦.

(٢) ابن كثير – ص٥١٦.

(٣) الحاوي – ٢٠٧٤٣.

من هلاك الملابسات الظرفية المعاشة والمتلاحقة إذ إن النجاة منها ممثلة في السنة المباركة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسكتهم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي)[1] .

لما كان كل ما جاء من الرسول قولا وفعلا من الأحاديث، فإن المراد في الآية المباركة التعليم والتوجيه بالأمر على اختصاص المؤمنين حتمية الرجوع إلى الرسول الكريم أيام حياته، ولكن النص المبارك جاء مناسبا لكل زمان ومكان فإن الراجح التعامل مع الآية المبارك باعتبار عموم اللفظ لا خصوص السبب الذي يلفت المؤمن في كل زمان إلى الرجوع إلى السنة النبوية المطهرة لا على أساس اعتبارات الهوى، ولكن اعتمادا وتعظيما للشريعة الإسلامية.

والمدقق في التناسق اللفظي (فيكم) تعظيما لمكانة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين الصحابة، وهذا مظروف في الظرف، أي أن أعلى شيء في قلوبكم الإيمان بالله ورسوله.

ومن خلال التدقيق في التناسق اللفظي ومحاولة السعي لتلمس مراد الآية المباركة يمكن تفهم الإنشاء في قوله تعالى: (اعْلَمُوا) أي: ضرورة علم اليقين بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – وما صدر عنه من قول وفعل هو مناط النجاة من الصعاب التي تواجه المسلم في حياته المعاشة على اختلاف الظرفية الزمنية والمكانية.

٥-أدب الإصلاح في حال وقوع خلاف:

وهنا يتجلى للرائي ترابط مضمون الآيات في هذه السورة المباركة، فإن الضرورة العقدية في الآية المباركة تنصح و تحض المؤمنين على حتمية رأب صدع الخلاف الذي قد يقع بينهم نتيجة خبر الفاسق، ويمكن تلمس ذلك الملمح

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"– أبو الحسن مسلم النيسابوري – دار الكتب العلمية – بيروت – (٢٤٠٨).

في معرض قوله تعالى: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٩)) .

ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة ، لزم على المسلم رفع وإزاحة أسباب الخلاف إلى أن يصادف من الوفاق من يرقعه؛ فالأخوة في الدين أحق بذلك .

والتناسق اللفظي في الآية المباركة يحث على التأمل والتدقيق، إذ إن فرضية قوام البناء اللغوي (اقتتلا) بدلا من (اقتتلوا) لأن الخلاف بين الطائفتين يلزم قتال أفراد كل طائفة على حدة، الأمر الذي يلزمه استخدام صيغة الجمع المتمثلة في قوله تعالى: (اقتتلوا) وقد عضدت هذه النتيجة السنة النبوية المطهرة؛ فعن النبي – صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يعيبه، ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه، ولا يؤذيه بقتار قدره" ثم قال: "احفظوا، ولا يحفظ منكم إلا قليل".

فإن قلت: فلم خص الاثنين بالذكر دون الجمع؟ قلت: لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان؛ فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ لأنّ الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين، وقيل: المراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرئ: (بين إخوتكم وإخوانكم).

والمعنى: ليس المؤمنون إلا إخوة، وأنهم خلص لذلك متمحضون، قد انزاحت عنهم شبهات الأجنبية، وأبي لطف حالهم في التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع، فبادروا قطع ما يقع من ذلك إن وقع واحسموه (واتقوا الله) فإنكم إن فعلتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف، والمسارعة إلى إماطة ما

يفرط منه، وكان فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم، واشتمال رأفته عليكم حقيقاً بأن تعقدوا به رجاءكم.[١]

وقد أكد على هذا التناسق الالتفات المتمثل في قوله تعالى : (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)، حيث وضع الظاهر موضع المضمر مضافا إلى المأمورين، للمبالغة في التقرير والتخصيص، وتخصيص الاثنين بالذكر دون الجمع، لأن أقل ما يقع بينهم الشقاق اثنان، فإذا لزمت المصالحة بين الأقل، كانت بين الأكثر ألزم[٢].

ولا تخفى على المدقق البلاغة القرآنية الكائنة في قوله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) والكائنة في عدول الأسلوب القرآني في الآية المباركة عن ضمير إلى ضمير آخر، والمتمثلة في قوله تعالى: (أَصْلِحُوا) للفت المسلم إلى أن التغيير والإصلاح لا يكون ما بين المتخاصمين بل بيد الوكيل الموكل بالإصلاح لأنهم أهل الثقة في الإصلاح ، لافتا إلى أن الوحدة بين المسلمين هى عماد القوة فيما بينهم، وجاء اللفت في الضمير مقرونا بصيغة الأمر؛ لإلزام من وكل برعاية مصالح المسلمين بحتمية الصلح بين المسلمين فيما بينهم إذا ما توافرت شروط الصلح بين الطرفين، وأما إذا امتنع شرط عن تحقيق الصلح فلا مناص من مقاتلة الفئة الباغية إلى أن تعود إلى الطريق القويم والمتمثل في المنهج الإسلامي الذي أطر بالقرآن الكريم – المصدر الأول في التشريع – والسنة النبوية المطهرة – المصدر الثاني في التشريع – ليحل الإنشاء المقرون باللفت مقننا لعلاقة المسلمين فيما بينهم.

وعلى هامش التعرض إلى التناسق اللفظي في كل آية مباركة من آيات سورة الحجرات وتوافقها مع الأسلوب الإنشائي فيها ؛ فإن الرابط بين ألفاظ الآية المباركة وأساليب الإنشاء في السورة على اعتبارها نصًّا عامًّا يمكن تلمسه من خلال

---

(١) الزمخشري – ج٢٦.

(٢) الزمخشري – ٣-٥٦٥.

الإشارات البلاغية التي تعرض لها كتاب الكشف وفق جماليات تقعيد العربية، على النحو التالي :

– التناسق اللفظي بين ألفاظ الآية المباركة الذي يتوافق مع مراد سورة الحجرات ، حيث إن الآثار الواقعة على أثر (النبأ) قبل التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها، فما جنته ضمنته عند الجميع، فمحمل الإصلاح بالعدل في قوله تعالى: (فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل، وعلى قول غيره: وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد، والذي ذكروا أن الغرض إماتة الضغائن وسل الأحقاد دون ضمان الجنايات: ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط. (١)

(فأصلحوا بين أخويكم) دون الجمع لأن أقل من يقع منهم الشقاق اثنان فإذا التزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ لأن الفساد والشر المترتبين على شقاق الجمع أكثر منهما في شقاق الاثنين.(٢)

– تكمن بلاغة القرآن في الآية المباركة من خلال التساؤل المتمثل في : لم قرن بالإصلاح الثاني العدل دون الأوّل؟ قلت: لأنّ المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معاً أو راكبتي شبهة، وأيتهما كانت؛ فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما: إصلاح ذات البين، وتسكين الدهماء بإرادة الحق والمواعظ الشافية، ونفي الشبهة؛ إلا إذا أصرتا، فحينئذٍ تجب المقاتلة، وأما الضمان فلا يتجه، وليس كذلك إذا بغت إحداهما؛ فإنّ الضمان متجه على الوجهين المذكورين (وَأَقْسِطُواْ) أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في إصلاح ذات البين، والقول فيه مثله في الأمر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه، والقسط بالفتح: الجور من القسط: وهو اعوجاج في

(١) الزمخشري – ج ٢٦.

(٢) الحاوي ٢٠٧٤٣.

الرجلين. وعود قاسط: يابس، وأقسطته الرياح، وأمّا القسط بمعنى العدل، فالفعل منه: أقسط، وهمزته للسلب، أي: أزال القسط وهو الجور.[١]

ويتواصل البناء النصي في السورة المباركة في عرض آداب المؤمنين فيما بينهم والمتمثلة في موقف آخر يمثل منفذ من منافذ الشيطان لإيقاع الوقيعة فيما بين المؤمنين والمتمثلة في السخرية التي تسبب حالة من التناحر بينهم، وقد تجلى ذلك في معرض قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ((١١)).

ونزلت الآية المباركة في موقف ثابت بن قيس حينما دخل على مجلس رسول الله ساخرا من إحدى الجالسين، وأما عن سخرية الناس فجاءت في موقف السخرية من قامة أم سلمة – أحد زوجات النبي – لتكون الآية المباركة ناهية للمؤمنين عن السخرية طالما دخلوا في إطار الإيمان .[٢]

وهنا يتجلى ملمح من بلاغة النص القرآني والمتمثل في التناسق اللفظي بين آي السورة المباركة، حيث اختصت العربية في الآية الكريمة بذكر لفظة (القوم) والتي قصدت بها الرجال خاصة؛ لأنهم القوّام بأمور النساء. قال الله تعالى: (الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النساء)[النساء: ٣٤] وقال عليه الصلاة والسلام: "النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه" والذابون هم الرجال، وهو في الأصل جمع قائم، كصوّم وزوّر: في جمع صائم وزائر. أو تسمية بالمصدر. عن بعض العرب: إذا أكلت طعاماً أحببت نوماً وأبغضت قوماً. أي قياماً، واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير:

---

(١) الزمخشري – ج ٢٦.

(٢) خواطر الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – دار أخبار اليوم – سورة الحجرات.

أَقَومٌ آلُ حِصنٍ أَم نِساءُ وَما أَدري وَسَوفَ إِخالُ أَدري

وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد: هم الذكور والإناث، فليس لفظ (القوم) بمتعاط للفريقين، ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن، وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين: أن يراد: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض؛ وأن تقصد إفادة الشياع، وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية، وإنما لم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة على التوحيد، إعلاماً بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية، واستفظاعاً للشأن الذي كانوا عليه، ولأنّ مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله، ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار، فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به، فيؤدي ذلك– وإن أوجده واحد– إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوماً.(١)

و قد تطرق ابن الأثير في (المثل السائر) إلى البلاغة القرآنية الكائنة في الآية المباركة في بحث الكناية: فمن ذلك قوله – تعالى –: (أيحب) فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله كلحم الأخ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله (ميتا) ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له، مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله.

فأما جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جدا؛ لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس، وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة.

وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة؛ لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، آمران بتركها، والبعد عنها، ولما كانت كذلك كانت بمنزلة لحم

(١) الزمخشري – ج ٢٦.

الأخ في كراهته، ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر، إلا أنه لا يكون في مثل كراهة لحم أخيه، فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة، وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة، والشهوة لها، مع العلم بقبحها.

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبها؛ لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من الدلالات الأربع التي أشرنا إليها، وجدتها مناسبة لما قصدت له [١] .

وأما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون، فإما للتغليب، أو لأنهن توابع، واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية، والتنكير: إما للتعميم، أو للقصد إلى بعضهم عن سخرية بعض، لما يجري بين بعض وبعض.

قال المراغي: السخرية الاحتقار وذكر العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، قوله تعالى: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ)، اللمز: العيب، ويكون بالقول وبالإشارة باليد أو العين، وقوله تعالى : (و لا تنابزوا بالألقاب)، التنابز: التعيير، أي لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب يكره أن يقال فيه[٢].

وجاء الشرط في قوله تعالى: (ومن لم يتب) وكأن فعل النبز واللمز خروج عن باب الإيمان وباب التوبة تأكيد على الغاية المقصودة من النهي في قوله تعالي: (لا تنابزوا).

وتتواصل البنية النصية للسورة المباركة في ترابط المضمون الداعي إلى الترابط بين المؤمنين وفق الإطار العام الذي وضعه الحق – سبحانه و تعالى – ضمان الترابط بين المؤمنين، وقد تحلى ذلك الأمر في معرض قوله تعالى :َ) يا

---

(١) محاسن التأويل – محمد جمال الدين القاسمي– تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي– ط. عيسى البابي الحلبي – ١٥–١٣٥.

(٢) تفسير المراغي– أحمد مصطفى المراغي – ط . مصطفى البابي الحلبي – ١٩٤٦م – ٢٥ – ١٣٣.

أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)).

يقال: جنبه الشر إذا أبعده عنه، وحقيقته: جعله منه في جانب، فيعدى إلى مفعولين. قال الله عز وجل: (واجنبنى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الاصنام) [1]، ثم يقال في مطاوعه: اجتنب الشر، فتنقص المطاوعة مفعولاً. والمأمور باجتنابه هو بعض الظن، وذلك البعض موصوف بالكثرة: ألا ترى إلى قوله: (إِنَّ بَعْضَ الظن إِثْمٌ)؟ فإن قلت: بَيِّن الفصل بيْنَ {كَثِيراً}، حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة. قلت: مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية، وإنّ في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين؛ لئلا يجترئ أحد على ظنّ إلا بعد نظر وتأمّل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر؛ ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظنّ منوطاً بما يكثر من دون ما يقل، ووجب أن يكون كل ظنّ متصف بالكثرة مجتنباً، وما اتصف منه بالقلة مرخصاً في تظننه. والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أنّ كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر. كان حراماً واجب الاجتناب؛ وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظنّ الفساد والخيانة به محرّم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث.

عن النبي – صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى حرّم من المسلم دمه وعرضه وأن يظنّ به ظنّ السوء"، وعن الحسن: كنا في زمان الظنُّ بالناس حرام، وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت، وظنّ بالناس ما شئت. وعنه: لا حرمة لفاجر. وعنه: إن الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله، وإذا استتر لم

(١) إبراهيم : الآية ٣٥.

يظهر الله عليه لعله أن يتوب، وقد روي: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب[١] .

وفي معرض قوله تعالى : (اقسطوا)؛ أي: أعدلوا من أقسط الرباعي بخلاف قسط الثلاثي الذي معناه الجور، يقال: قسط الرجل إذا جار، وأقسط إذا عدل ، قال تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)، وقال في التاج: ففي العدل لغتان قسط وأقسط وفي الجور لغة واحدة قسط بغير ألف.

وهنا تكمن البلاغة القرآنية في الآية المباركة من خلال بيان الفرق بين كلمة (ميت) و(ميّت)؛ فكلمة (ميت) بتسكين الياء تقال لمن مات فعلاً، مثال ما جاء في سورة الحجرات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)).

ولذا جاء في القرآن الكريم تحريم أكل لحم الميتة بتسكين الياء وقد تكون حقيقة أو مجازاً، أما الميّت فقد يكون لمن مات أو من سيموت بمعنى من مآله إلى الموت حتماً، كما في قوله تعالى في سورة الزمر (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)).

وجاء التناسق اللفظي في الآية المباركة لإشاعة بشاعة التشبيه في الغيبة في نفوس الناس جميعا والتي تبرر النهي في الآية المباركة، والتي مثلت ترابطا في المضمون الحاوي للثلاث الآيات التي تناولها الباحث بالدراسة و التدقيق والمؤكدة على إعداد قوام أخلاقي يربط المؤمنين برباط متين أساسه التعاليم الإسلامية وفق (افعل ولا تفعل) والمتمثلة في رافد بلاغي متمثل في علم المعاني وبخاصة الأسلوب الإنشائي منه .

---

(١) الزمخشري – ج ٢٦.

٧-الإقرار بوحدانية الخالق

تتوج الآيات المباركة في ترابطها الموضوعي بوحدانية الخالق، إذ إن الناس كلهم عيال الله – سبحانه و تعالى – راجيا لهم الصلاح في دنياهم وآخرتهم، والدليل على ذلك يمكن تلمسه في معرض قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (١٣).

والمدقق في قوله تعالى: (يا أيها الناس) و الداعي إلى دعوة الحق – سبحانه وتعالى – الناس للإيمان لأنهم لم يرتقوا إلى الإيمان بالوحدانية، وذلك على خلاف ما ورد في السورة المباركة من الآيات التى خصت المؤمنين، والمتمثلة في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا)؛ وهذا دليل على خلاف لحكم من الأحكام الشرعية أو تكليف من الخالق وليس خلافًا على قضية الوحدانية؛ إذ إن النداء في الآية المباركة جاء على عموم الناس في إطار من قضية التوحيد المقرة بوحدانية الخالق، والداعية إلى ضرورة الإقرار بالشكر والمنة التي تفضل بها الحق – سبحانه وتعالى – على عباده .

يقول تعالى مخبرا الناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوبا، وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك.

ويمكن الاستدلال على أسباب نزول الآية المباركة عن طريق حديث ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا يحيى بن زكريا القطان، حدثنا موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر؛ قال: طاف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده ، فما وجد لها مناخا في المسجد حتى نزل – صلى الله عليه وسلم – على أيدي الرجال ، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت. ثم إن

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطبهم على راحلته ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال:" يا أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله . إن الله قال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ثم قال : "أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم"[١].

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)).

والمراد من (مّن ذَكَرٍ وأنثى) من آدم وحوّاء. وقيل: خلقنا كل واحد منكم من أب وأمّ، فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء، فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب. والشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة؛ فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل: خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصى بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب؛ لأنّ القبائل تشعبت منها.[٢]

ولذلك نجد في قوله تعالى: (إن الله عليم خبير) يدل على بيان علة العلم في الآية ذاتها المتمثلة في قوله تعالى: (شُعُوبًا وَقَبَائِلَ)، والمتمثلة في قضية التكاثر والتعارف، والتي تلازمها التمايز والاختلاف بين البشر، وهذا الخلاف يرجع إلى علة لا يعلمها إلا (عليم) و (خبير).

---

(١) ابن كثير – ص٥١٧.

(٢) الزمخشري – ص٢٦.

لتحل القضية القرآنية برمتها في حالة من الاكتمال والبيان في قوله تعالى: (إنما المؤمنون أخوة) تفصيلا للإيمان الحق بعد البيان والتفصيل الذي عرض على طول السورة المباركة والمبينة الفارق بين الإيمان والإسلام بفضل مزية عدم الريبة في الله و رسوله ، والتضحية بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله.

وهذا التناسق اللفظي والترابط بين الآيات المباركة في السورة المباركة يلفت المدقق والرائي إلى أن السورة المباركة جاءت على أساس التكامل والترابط بين أجزائها لا الانفصال.

* *

الخاتمة

وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج من خلال التنقيب في سورة الحجرات وتعقب أساليبها الإنشائية الواردة فيها والتي أكدت على وحدة النص وعدم انفصال آياته، ومن هذه النتائج:

١- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم هو مفارقة أسلوبه لأساليب الأدب كلها فبلاغة القرآن لا تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وإنما تتعدى إلى التأثير في المتلقين تأثيرا فائقا، يعجزهم عن الإتيان بمثله.

٢- لا يمكن أن تنطبق الأسلوبية على البلاغة العربية فتكون بديلة لها لاختلاف المنطلقات الأولية بكل منهما، كما أن نشأتهما ومسارات تاريخهما ومواضع اهتمامهما تختلف اختلافا كافيا لإقامة الحدود بينهما، ولكن هذا لا يمنع من تلمس أوجه التطابق بينهما واستثماره في تجديد البحث البلاغي.

٣- لم يكتف العلماء بإثبات عربية القرآن، وإنما سعوا إلى الكشف عن خصائص أسلوبية تفرده عن سائر الكلام العربي، فعنوا بدراسة نظمه وتأليفه عناية فائقة حتى كان المعول عليه في إعجازه البلاغي بلاغة النظم لا بلاغة العبارة.

٤- أثبت التنقيب في الجانب الفني من الأسلوب القرآني أنه لا يسع أي باحث أن تفرد له نهايات الجودة والجمال، لأن الباحث محدود وكلام الله – سبحانه وتعالى – مطلق لا يحيط به أي إنسان.

**

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- إعجاز القرآن محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني – المحقق: السيد أحمد صقر– دار المعارف – مصر.
- الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم– د.محمد كريم الكواز – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – الطبعة الأولى – ١٤٢٦هـ.
- البخاري– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري– طبعة دار القلم.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر.
- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير – دار ابن حزم.
- تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، تحقيق : عبد الله بن حسين عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز . طبعة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر .
- تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير ابن أبي حاتم الرازي، الرازي، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – الرياض .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر.
- خواطر الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – دار أخبار اليوم .
- الحاوي في تفسير القرآن "جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق" –عبد الرحمن القماش – دولة الإمارات العربية المتحدة.
- دلائل الإعجاز– أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد – تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر– مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الألوسي البغدادي، دارة الطباعة المنيرية تصوير دار إحيار التراث العربي .

- سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي – تحقيق : عبد المتعال الصعيدي – طبعة مكتبة محمد علي صبيح – ١٩٥٢م .
- صحيح مسلم – أبو الحسن مسلم النيسابوري – دار الكتب العلمية – بيروت.
- االكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت .
- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر – ضياء الدين بن الأثير – تحقيق : أحمد الحوفي وزميله – الرياض : دار الرفاعي – ص:١/٣٩-٤٠.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية – ٢٠٠٤.
- محاسن التأويل – محمد جمال الدين القاسمي– تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي– ط. عيسى البابي الحلبي.
- تفسير المراغي– أحمد مصطفى المراغي – ط . مصطفى البابي الحلبي – ١٩٤٦م.

المقالات:

- مقال دروس منتقاة من سورة الحجرات – د. فارس العزاوي – تاريخ الإضافة١٧/٩/٢٠٠٩ : ميلادي – ١٤٣٠/٩/٢٧ هجري.
https://www.alukah.net/sharia/٠/٧٥٢٩/#_ftnref٤ -

* * *